اجتهادات
واقعية تشع جمالا

كم من مبدعين عرب تألقوا، ولم ينالوا التقدير الذى يستحقون. يزدادُ عددهم بمقدار ما يقلُ الاهتمام بالإبداع. وأحد من لم يُقّدروا حق قدرهم الفنان التشكيلى اللبنانى محمد على الخطيب, الذى رحل قبل أن يتحقق أملُه فى إقامة معرضٍ كبير للوحاته بالقاهرة.

الخطيب فنانُ متعدد رسم وكتب. الخطُ بين الريشة والقلم موصول لديه. فهو كاتب مسرحى وناقد وفنان تشكيلى. ولكنه عُرف بلوحاته البديعة أكثر من أعماله المسرحية والنقدية. التقيتُه للمرة الأولى فى مطلع 2016 . أبلغنى الصديق فرحان صالح أنه رسم »بورتريه» للأستاذ محمد حسنين هيكل, ويتمنى أن يزوره ويُقدمه له. نقلتُ طلبه إلى الأستاذ فرحب, وجاء الفنانُ ونجله د. إياد المتخصص فى علوم الكمبيوتر, والذى صار صديقًا عزيزًا.

وكانت هذه بداية علاقةٍ مع أسرتهما التى شرفتُ بزيارتها مرات فى صيدا. وفاجأنى الراحل العزيز ذات يومٍ بأنه رسم لى »بورتريه» اعتمادًا على إحدى الصور الفوتوغرافية. وكم كانت مفاجأة رائعة, وهو الذى تميز ببراعةٍ يقلُ مثلُها فى رسم البورتريه. لفت اعتمادُه

على هذه الصورة انتباهى إلى مدرسته الفنية. فقد لاحظتُ عندما زرتُ مرسمه تأثره بالمدرسة الواقعية فى الفن التشكيلى بطريقته الخاصة. وعندما تأملتُ ما أُتيح لى من لوحاته, فهمتُ أنه يجمعُ بين عددٍ من مذاهب هذه المدرسة. ومن هذه المذاهب الواقعيةُ الوثائقية أو التصويرية التى تعتمد على إعادة إنتاج مُنتج مستوحى من الواقع بدلا من محاكاته. وهى تختلفُ فى ذلك عن الواقعية الطبيعية التى نجدُ تجليات لها فى بعض أعماله.

وفضلا عن هذه وتلك, يسهلُ العثور فى أعمال أخرى على ملامح للواقعية الفكرية, التى يلتقطُ الفنانُ بموجبها جوهر شيء ما فى الواقع ويرسمُ ما يعبرُ عنه انطلاقا من أفكار يؤمنُ بها. ولعل هذا المزيج من مذاهب المدرسة الواقعية هو ما يجعلُ أعماله تشِعُ جمالاً. فقد تميز إبداعُه التشكيلى بطابعٍ خاص, وبرع فى رسم لوحاتٍ يمكنُ وصفها بأنها ملحمية استلهمها من أحداثٍ كبرى وقضايا عروبية. فسلام لروح الفنان المُبدع الراحل، ودعم مستحق للدكتور إياد الخطيب فى جهده لنشر أعمال والده على نطاق أوسع.